الكتب

هبة الأيام

فيما يتعلق بأبي تمام

تأليف الشيخ يوسف البديعي قاضي الموصل (١٠٧٣ هـ)

نشره وعلق عليه الأستاذ محمود مصطفى

أهدى إلى زميلي الأستاذ محمود مصطفى كتاب « هبة الأيام فيما يتعلق بأبي تمام » من تأليف الشيخ يوسف البديعي قاضي الموصل المتوفى سنة ١٠٧٣ هـ ، وهو كتاب عثر عليه الأستاذ محمود مصطفى المدرس بكلية اللغة العربية من كليات الجامع الأزهر في محفوظات دار الكتب المصرية ، فأعجبه منه جريه على طريقة القدماء في دراسة الأدب من التنقل بالقارىء من خبر مستطرف ، إلى معنى مستظرف ، إلى فكاهة بارعة ، إلى حكمة رائعة . فمدار الكلام عنده على أبي تمام ، ولكنه إذا ذكر قوة حفظه عرض لكثير ممن عرفوا بهذه المنقبة ، فروى من أخبارهم ما يروى صدى التأدب ؛ وإذا ذكر مدحه لأحمد بن أبي دؤاد مثلاً عرج على حياة هذا الممدوح ، بفلاها للقارىء بما لا يترك في نفسه بقية من حاجة ؛ وإذا مر بمعنى له تناوله الشعراء سرد من أقوالهم فيه ما يشبع نهمة النهم من طلاب الأدب . وهكذا جرى في كتابه من أوله الى أن فرغ منه ، وهذا عمل يثير الاعجاب حقيقة من عالم في هذا القرن الحادي عشر من القرون الهجرية ، وهو من القرون التي طغت العامية فيها على العربية ، وأصبح العلماء لا يحسنون فيها التأليف بالعربية الفصيحة ، فكيف بهذا النوع من التأليف في الأدب والموازنة والنقد ؟ ومؤرخو الآداب العربية يكادون ينسون الشيخ يوسف البديعي وأدبه في وسط تلك الظلمة القاتمة ، التي غطت على الأدب العربي في تلك القرون المظلمة .

فكم أحسن الأستاذ محمود مصطفى بلفت الأذهان الى أدب الشيخ يوسف البديعي ، حتى لا تغطى عليه تلك الظلمة ، ولا ينسى مؤرخو الآداب عمله في وقت لم يكن لغيره عمل يذكر فيه .

وكم أحسن في تعليقاته على هذا الكتاب إذ تابع مؤلفه في طريقته ، فعرف قارئه بالرجال الذين عرض لذكرهم ولم يعرض للتعريف بهم ، وشرح ما وقع فيه من أشعار أبي تمام وغيره ، ولم يكن المؤلف يعنى الا بشرح القليل منها ، لأنه لم يؤلف كتابه لذلك وانما ألفه لتلك الأغراض السابقة .

وللأستاذ محمود مصطفى في شرحه طريقة تليق بوظيفته الجامعية ، فهو يعنى فيه بشرح المعاني الأصلية للكلمات وما خرجت اليه من مجاز أو كناية ، ثم يستخرج من ذلك معنى البيت وينقده اذا رأى أبا تمام قد خرج به عن الجادة ، فتكلف في الصنعة ، أو ركب الشطط في مجازاته ؛ وقد يجعل من نقده إطراءه اذا جمع موجبات الحسن في شعره ، وهي كثيرة فيه ، ولم يفته مع هذا أن ينقل من آراء الأقدمين الذين نظروا في شعر أبي تمام من الآمدي والجرجاني وغيرهما ، ثم يعقب على ذلك برأيه فيوافقهم تارة فيما رأوه في شعره ، ويخالفهم تارة أخرى فيه .

وقد جلونا بهذا كتاب هبة الأيام للقراء ، وعرفناهم قيمة عمل الأستاذ محمود مصطفى فيه ، وأدّينا بذلك حقه علينا كأثر من أحسن الآثار الأدبية ، وبقي لنا عليه أشياء أردنا للزمالة ألا نعرض لها ، وأراد الأستاذ محمود إلا أن نطلق لقلمنا العنان مقرظين أو ناقدين ، وإنا نكتفي عما عندنا بهذين النقدين

فالأستاذ محمود في قول أبي تمام :

وإذا مشت تركت بصدرك ضعف ما
بحليها من كثرة الوسواس

يرى فيه استخداماً طريفاً حسناً ، لأن أمثلته قليلة في العربية ، والاستخدام عنده في أن الوسواس يطلق على صوت الحلي ، وعلى حديث النفس بما لا خير فيه ، وقد أراد المعنى الأول في كلمة الوسواس الظاهرة في البيت ، وأراد الثاني في الموصوف المحذوف في قوله « ضعف ما » ، ولا شك أن هذا ليس من الاستخدام في شيء ، وليرجع الأستاذ الى تعريف الاستخدام وأمثلته في كتب البلاغة ، فسيرى أن هذا لا يشمله تعريفه ، ولا يشابه أمثلته .

وكذلك نخالف الأستاذ محموداً فيما صنعه في قول أبي تمام :

خلاصة تاريخ مصر الحديث

من الحملة الفرنسية إلى الوقت الحاضر

تأليف الأستاذ محمد الحسيني رخا

هذا الكتاب الصغير الذي يشمل منهاج السنة الرابعة الابتدائية ، من وضع عالم كبير قضى سنوات طويلة في خدمة التعليم في أدق مناصبه من ناظر بالمدارس الأميرية إلى مفتش للآداب بالمعاهد الدينية ، فلا عجب مع ذلك أن يكون كتابه هذا على ما هو عليه من الدقة العلمية ، وحسن الترتيب . ولقد كان هذا الكتاب أحد الكتب الثلاثة التي فحصتها وزارة المعارف ، ووافقت على صلاحيتها في المباراة التي أعلنت عنها في عام ١٩٣٢ وتقدم للاشتراك فيها عدد كبير من المؤلفين .

وليست تقاس مهارة المؤلف هنا بما يحتوي عليه كتابه من المعلومات والوثائق كما هو الشأن في الكتب المطولة ، وإنما تقاس مهارة المؤلف بمقدار نجاحه في تسهيل تلك المعلومات وصوغها في عبارات تناسب تلك السنة الدراسية ، وربط أجزاء المنهاج بعضها ببعض بطريقة فنية تضمن تحقيق الغرض المنشود من تدريس التاريخ . ولقد وفق الأستاذ الفاضل مؤلف هذا الكتاب توفيقاً يغبط عليه ، فصاغه في صورة تحببه إلى الطلاب وتحبب إليهم موضوعه ، كما أنه اهتم بحسن الطبع واختيار الورق فجاء كتابه متقناً من جميع نواحيه . وإني لأحمد لهذا المربي الفاضل جميل صنعه ، وأقدم كتابه إلى طلاب السنة الرابعة الابتدائية مع مزيد الاغتباط ؟

الخفيف

أزرين بالمُرْدِ الغطارف بُدَّناً غيداً ألفهمُ زماناً غيدا

إذ يريد أبو تمام أن يفضل الجميلات من النساء على أرباب الجمال من أولئك الغلمان الذين افتتن بهم الشعراء ، وتغزلوا بجمالهم في عصره وقبل عصره ، فلا يرضى هذا صاحبنا ، ويقول إنه لم يؤلف أن يقال إن المرأة الجميلة تزرى بالرجل الجميل ، مع أن أبا تمام لم يعن في شعره هذا ، وإنما عني أولئك الغلمان الذين غطى التغزل بهم على التغزل بالنساء في ذلك العصر ، ثم يختار الأستاذ أن يقال إن مرداً جمع مرداء ، وإن غطارف جمع غطريفة ، وإن لم يرد ذلك في اللغة ، فيكون خطأ من أبي تمام فيها ، ولا أدري كيف نحمله هذا الخطأ ، ومعناه على ما تعطيه ألفاظه في حدودها اللغوية واضح لا شيء فيه ، ولله العصمة وحده .

عبد المتعال الصعيدي

الفاروق عمر بن الخطاب

بقلم دياب عثمان العرابي

المتخرج في دار العلوم

كان سروري عظيماً حين أُتيح إليّ هذا الكتاب ، الذي خصصه مؤلفه الأستاذ دياب العرابي لدراسة حياة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لاتجاه أدبائنا الى تاريخ عظمائنا يتخذون منه المثل العالي والقدوة الحسنة ، والكتاب يقع في نحو مائتين وستين صفحة من القطع المتوسط

تكلم المؤلف الفاضل عن حياة عمر في الجاهلية ، ذاكراً نسبه ووصفه ومنزلته في قومه ، ثم تكلم عن دخوله في الاسلام ، وعن حياته في عهد الرسول ومواقفه المشهورة إلى جانبه صلى الله عليه وسلم ، ثم تكلم عن عمر يوم السقيفة ومبايعته لأبي بكر ، إلى أن تم له أمر المسلمين فتكلم عن فتوحه وأعماله وإصلاحاته في الدواوين وموقفه من عماله وموقفه من بيت مال المسلمين ، ثم شرح حادث مقتله وبين تحوطه للخلافة ووصايته قبل وفاته

وهو بلاشك بحث ممتع ينظم هذا الكتاب في سلك المؤلفات التي تملأ قراءتها القلوب غبطة والنفوس عظة ، والتي تؤثر من الوجهة الخلقية تأثيراً قوياً في نفوس القراء صغارهم وكبارهم

بيد أني ، على الرغم من سروري بتلاوة هذا الكتاب واستمتاعي بما جاء فيه من حوادث ومواقف رائعة ، لا أقر الأستاذ المؤلف على بعض نقط فيه ، كأسهابه في وصف الفتوح وتعرضه لتفاصيل جعلتني عندها أتساءل : هل يدور الكتاب حول تاريخ الدولة العربية أيام عمر ، أم هو يدور حول دراسة عمر نفسه ؟ ولو أن الأستاذ وجه اهتمامه الأكبر إلى بسط أخلاق عمر واتخذ من أعماله مع الاكتفاء بالاشارة إليها أمثلة لما يقول لكان كتابه أكثر لذة وأقرب إلى الغرض . على أنه في وضعه هذا وما احتوى عليه من حوادث ومواقف مشهورة من حياة عمر جدير بأن يحرص على قراءته والاستفادة منه كل أديب . والحقيقة أن المؤلف قد أتى فيه على طائفة من العبر القوية ، والأخلاق العالية ، والحوادث الشيقة مما يجعلك تنسى التأليف وطريقته ، وتندمج اندماجاً تاماً في تلك الشخصية العظيمة التي يدور حولها الكلام ، بحيث تفرغ من قراءتك وأنت تحس إحساساً شديداً بالغبطة والارتياح ؟

الخفيف